مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ١ ،العدد ٢ (أيلول ٢٠٢٥)، ص: ٢٩٦ - ٣١٥
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

جذور اقتباس أسطورة قصة استير ومردخاي في اليهودية من بابل وعيلام: رؤية نقدية

م.م. حسام الدين محمد سلمان داود

قسم مقارنة الأديان, كلية العلوم الإسلامية, الجامعة العراقية, مدينة بغداد, العراق.

husamaldeen.m.salman@aliraqia.edu.iq

المستخلص

تناولتُ في هذا البحث قضية فكرية دينية مهمة، وهي: جذور اقتباس أسطورة قصة استير ومردخاي في اليهودية من بابل وعيلام. ويُعد هذا الموضوع بالغ الأهمية لما يكشفه من تفاعلات وتأثيرات متبادلة بين الديانات السماوية وغير السماوية.

ومن هنا تبرز أهمية هذا البحث، إذ يسعى إلى الكشف عن الجذور الدينية والفكرية لإحدى القصص اليهودية المحرَّفة، والتي خُصص لها سفرٌ كامل سُمِّي باسمها، وهو (سفر استير) وقد جاء اختياري لهذا الموضوع نظراً لأهميته في مجال الدراسات الدينية المقارنة، ولأن البحث فيه لم يُتناول – في حدود علمي – بالدقة والاتساع اللازم في الدراسات العربية، مما يجعل هذا العمل إسهاماً في الكشف الواضح والدقيق عن طبيعة هذه القصة أمام المثقف والقارئ والباحث العربي.

وقد تمثل هدف البحث في الكشف عن حقيقة قصة (استير ومردخاي) وجذورها، أما المنهج الذي اعتمدته فهو المنهج التحليلي، من خلال قراءة النصوص وتحليل الأقوال للكشف عن مدى أسطورية القصة أو واقعيتها. كما استعنت بالمنهج النقدي للوقوف على الآراء والأفكار الواردة بالنقد والتمحيص.

وفي النهاية فقد توصلت إلى عدد من النتائج المهمة، من أبرزها الآتي: أنَّ شخصية (مردخاي) الواردة في القصة بحسب الدراسات النقدية الحديثة، قد أكدت على عدم وجود هذه الشخصية في الواقع التاريخي، ومن ثم شككوا في تاريخية الشخصية، وذلك لأنه لم يكن هناك أية إشارة خارج الكتاب المقدس تؤكد على وجود شخصية حقيقية باسم (مردخاي). وأيضًا: إنَّ التفاصيل الواردة في قصة (استير) لا توحي على الإطلاق بأية مؤامرات أو قوانين لم تلغى، أو صعود شخصيات يهودية للحكم والملك، ونستنتج من هذا أنَّ أحداث القصة لا تعكس على الحقيقة أي وقائع تاريخية، وإنما نسج من الخيال الأدبي الرمزي، ولهذا فهي تنتمي إلى النمط الأدبي السردي التهذيبي في الشتات، وليس إلى السجل التاريخي، المستخدم في تدعيم الهوية والقومية اليهودية.

الكلمات المفتاحية:

قصة استير ومردخاي، أسطورة، اليهودية, بابل، عيلام.


مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ١ ،العدد ٢ (أيلول ٢٠٢٥)، ص: ٢٩٦ - ٣١٥
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

The Roots of Borrowing the Myth of the Story of Esther and Mordecai in Judaism from Babylon and Elam: A Critical Perspective

Lect. Husam Al-Deen Mohammed Salman Dawood

Department of Comparative Religions, College of Islamic Sciences, Al-Iraqia University, Baghdad, Iraq

Abstract

In this research, I address an important religious intellectual issue: the roots of the Judaic adaptation of the legend of Esther and Mordecai from Babylon and Elam. This topic is of utmost importance because of the interactions and mutual influences it reveals between divine and non-heavenly revealed religions. Hence, the importance of this research emerges, as it seeks to uncover the religious and intellectual roots of one of the distorted Jewish stories, to which an entire book named after it, "The Book of Esther," was dedicated. I chose this topic because of its importance in the field of comparative religious studies, and because research on it has not been addressed—to the best of my knowledge—with the required precision and breadth in Arabic studies. This makes this work a contribution to clearly and accurately revealing the nature of this story to Arab intellectuals, readers, and researchers. The goal of the research was to uncover the truth about the story of "Esther and Mordecai" and its roots. The method I adopted was analytical, through reading the texts and analyzing the statements to reveal the extent of the story's mythicity or realism. I also employed the critical approach to examine and scrutinize the opinions and ideas contained in the critique. In the end, I reached a number of important conclusions, the most prominent of which are the following: According to recent critical studies, the character of "Mordecai" mentioned in the story has confirmed the nonexistence of this character in historical reality. Consequently, they cast doubt on the character's historicity, as there is no reference outside the Bible to the existence of a real person named "Mordecai." Furthermore, the details contained in the story of Esther do not at all suggest any conspiracies, laws that were not repealed, or the rise of Jewish figures to power and kingship. From this, we conclude that the events of the story do not truly reflect any historical facts, but rather are a figment of symbolic literary imagination. Therefore, it belongs to the literary genre of diaspora-based narratives, rather than to the historical record used to support Jewish identity and nationalism.

Keywords:

The story of Esther, Mordecai, myth, Judaism, Babylon, Elam.

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ١ ،العدد ٢ (أيلول ٢٠٢٥)، ص: ٢٩٦ - ٣١٥
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

المقدمة

تُعد قصة استير ومردخاي من أبرز النصوص السردية في العهد القديم، إذ ترد في سفر استير، الذي يُروى فيه إنقاذ اليهود من مذبحة محتملة في بلاد فارس على يد الملكة اليهودية استير وابن عمها مردخاي، ويعد هذا السفر من الأسفار التي كان لها دوراً مهماً في تشكيل هوية اليهود في الشتات، كما كانت الأساس لعيدهم المعروف بـــالبوريم اليهودي، وعلى الرغم من هذا كله فإنَّ الجوانب الأسطورية وغير التاريخية للوقائع المتعلقة بالأديان القديمة وخاصـــة اليهودية، بل وكذلك الجانب الفكري والديني والسيلسي دفع كثير من الباحثين والمؤرخين إلى التساؤل عن هذه القصة، من حيث نشأتها الأولى، وما مدى صحتها؟ وهل هي مقتبسة؟ أم أنه تم صياغتها من تراث الحضارات الشرقية القديمة، وخاصة حضارتي بابل وعيلام القديمتين، ومن هنا تأتي أهمية البحث عن المصادر التاريخية والفكرية عن هذه القصة لمعرفة أصول نسبتها الحقيقية، وهل ترتد إلى أصول حضارية قديمة؟

أهمية الدراسة:

ومن هنا تبرز أهمية هذا البحث، إذ يسعى إلى الكشف عن الجذور الدينية والفكرية لإحدى القصص اليهودية المحرَّفة، والتي خُصص لها سفرٌ كامل سُمِّي باسمها، وهو (سفر استير). وقد جاء اختياري لهذا الموضـــوع نظراً لأهميته في مجال الدراســـات الدينية المقارنة، ولأن البحث فيه لم يُتناول – في حدود علمي– بالدقة والاتســـاع اللازم في الدراســـات العربية، مما يجعل هذا العمل إسـهاماً في الكشـف الواضـح والدقيق عن طبيعة هذه القصـة وجذورها وبيان حقيقتها التاريخية من أسـطوريتها أمام المثقف والقارئ والباحث العربي.

هدف الدراسة:

يتجلى الهدف من هذه الدراسة: الكشف عن جذور اقتباس أسطورة قصة استير ومردخاي في اليهودية من بابل وعيلام، وكذلك من الأهداف التي نحاول بيانها: هل قصـــة اســـتير ومردخاي حقيقة تاريخية واقعة أم أنها من ضـمن الأســاطير الأدبية الرمزية عند اليهود، وكذلك نحاول الكشـف عن آراء بعض من المفكرين والباحثين تجاه هذه القصـــة، وأخيراً بيان حقيقة الشـخصـيات التي وردت في نصـــوص السفر.

إشكالية الدراسة:

تتمثل مشـكلة هذا البحث في تحليل قصـــة (اســتير) وما تتضــمنه من جوانب وأفكار دينية يهودية، ومعرفة جذورها ومدى تأثرها بالفكر الديني في حضـــارات الشـرق القديم مثل حضـارة بابل، وهذا ما يدفعنا إلى صـياغة التســاؤل الأســاســي للبحث على النحو الآتي: ما هي الجذور التي اقتبسـت منها أسطورة قصة استير ومردخاي في اليهودية؟ وقد تفرع عنه مجموعة من التساؤلات هي: ما المقصود بقصة استير؟ وما أحداثها؟ وما الشخصيات الواردة في ثنايا نصوص السفر المخصص لها؟ وهل هذه

الشخصيات حقيقية أم أسطورية؟ وإلى أي مدى تعكس القصة صراعًا يهوديًا- فارسيًا داخليًا، أُسقط على تراث خارجي؟ وكيف وظّف كتّاب السفر العناصر الأسطورية في بناء نص ذي طابع ديني- سياسي في فترة ما بعد السبي؟

منهجية الدراسة:

نعتمد على المنهج التحليلي، وذلك باستقراء وتحليل النصوص المتعلقة بقصة استير ومردخاي، مع توضيح جوانب أخرى مرتبطة بشخصيات القصة وبيان حقيقة كل شخصية منها، وذلك للكشف عنها، وكذلك المنهج النقدي حيث سأقوم بنقد الآراء والأفكار الواردة في ثنايا البحث.

المبحث الأول: قصة استير ومردخاي بين الحقيقة والأسطورة:

تعد قصة (استير) و(مردخاي) من قصص العهد القديم التي تتجلى فيها -كما يذكر عباس محمود العقاد- عبقرية المؤلف في التعبير اللغوي والابداع في استخدام العبارات القوية والمحسنات اللفظية إلى حرصه على الاستيلاء على حواس القارئ ومشاعره فلا تلتفت منه عبارة ولا تغيب عنه فكرة. (علي، بلا- ت، ص١٧٠)، (سعيد، بلا- ت، ص١٥٩).

وتقع حوادث هذه القصة -حسبما وردت في سفر (استير)- في بلاد فارس القديمة حيث يجلس على عرشها أَحشْوِيرُوش. (علي، ص١٧١-١٧٠).

إنَّ أحداث القصة، بحسب النص التوراتي، وقعت في الإمبراطورية الفارسية خلال حكم الملك أحشويروش (الذي عرف بحسب التاريخ باسم زركسيس الأول (Xerxes I)، وحكم من ٤٨٦ إلى ٤٦٥ ق.م)، وقد جاءت الصورة المعبرة عن (استير) باعتبارها امرأة يهودية، وقد تصادف أنها صارت ملكة على بلاد فارس، ثم تستغل موقعها لإنقاذ قومها من خطة إبادة جماعية دبّرها الوزير (هامان)، بعد رفض مردخاي، ابن عمها، أنْ يسجد له، مما أثار نقمته ودفعه إلى استصدار أمر ملكي بقتل جميع اليهود في أنحاء المملكة. (سفر استير, ٥/٦).

فبعد أنْ اعتلت (لستير) العرش بخمس سنوات حدث أنْ ثار غضب (هامان) الذي يعد أقرب المقربين إلى الملك على (مردخاي) لأنه رفض أنْ يقدم له الخضوع والاجلال وقصد (هامان) أنْ ينتقم لنفسه لا بقتله (مردخاي) فحسب،بل بإبادة كل اليهود في أنحاء الإمبراطورية وتمكن (هامان) من أنْ يحوز رضا الملك ويأخذ موافقته على ذلك، ولكي يبيد اليهود بعد أنْ زين لهم النهب والسلب وإشباع أطماعهم. (سفر استير, ٢: ٥/٣: ١٥). فما كان من (استير) إلا أنْ دخلت إلى الملك وأخذت تحتال عليه حتى أحبطت محاولة (هامان) ثم مكنت اليهود بعد ذلك من قتل ما لا يقل عن ثمانين ألف إيراني، ولم يطفئ هذا العدد ظمأها في سفك للدماء،بل تفننت في تقتيل (هامان) وأولاده. (مجمع الكنائس الشرقية, بلا- ت، ص٦٣-٦٤)، (سعيد، ص١٥٩-١٦٠)، (علي، ص١٧١-١٧٠).

لكنها لم تكتب إلى اليهود عن قتل أو مقتل (هامان) والتي وصـــفته بأنه كارههم، وذلك حتى يهدئوا ويفرحوا بمقتله، وإنما كتبت إليهم بـــــ "أنْ يجتمعوا للدفاع عن أنفسهم بل والدعوة إلى الهلاك والقتل والإبادة ...، وهنا القتل يكون للكل دونما استثناء لأحد من النساء والأطفال والرجال، بل وسلب كل ممتلكاتهم. حتى أنه في كل يوم واحد من كل بلاد الملك أحشويروش، واليوم الثالث عشر من الشهر للثاني عشر من آذار". وتظهر في هذا اليوم مظاهر الفرح والبهجة عند اليهود بل وولائم شراب وغيرها. (سفر استير, ٨/١٢-١٨).

وقد استجاب لهذه الدعوة التي أطلقتها (استير) تجاه فئة من قومها من اليهود، حيث تجمعوا من كل بلاد الملك (أحشويروش) حتى سيطروا وقتلوا كل من صادفهم من كارهيهم، فلم يكن تستطيع هذه الشعوب من التصدي للرعب الذي انتشر من قبل هذه الجماعات، ذلك لأنَّ الرعب قد وقع على الكل دون استثناء. (سفر استير, ٩/٣).

وقد قتل اليهود في شوشن القصر، وأهلكوا خمس مائة رجل (سفر استير, ٩/٦)، وتمَّ صلب كل أبناء هامان الذين يبلغ عددهم عشرة، وذلك بأمر من الملكة استير (سفر استير, ٩/١٤)، ثم اجتمعوا -أي اليهود- في اليوم الرابع عشر من شهر آذار لقتل ما يزيد عن مائة رجل في مدينة شوشن (سفر استير, ٩/١٥)، وقد تجمعوا أيضًا - اليهود- في بلدان الملك في الثالث عشر من آذار وقتلوا ممن يبغضهم نحو سبعين ألفًا (سفر لستير, ٩/١٧)، ثم الاستراحة، وبعدها في اليوم الخامس عشر قد نصبوه يومًا للشرب والفرح على ما فعلوه. (سفر استير, ٩/١٨).

المطلب الأول: مكانة مردخاي اليهودي:

وقد ذكر في الإصحاح العاشر في سفر (استير) وبشكل موجز في ثلاث فقرات بحسب مؤلفها عن القدر الكبير لـــــ (مردخاي) اليهودي، وقد عدّه اليهود بمثابة الشخصية التي سوف تجئ بعد الملك أحشويروش، وسيكون له الملك العظيم بين يدي اليهود، فسيلقي قبولًا بينهم وعن أخوته، فيطلب منهم الخير لشعبه، بل ومتحدثًا بتحقيق السلام لكل نسله. (سفر استير, ١٠/١-٣).

ومن هنا كان فقد أصبحت قصة (استير ومردخاي)، بدلًا من سفر استير، وقد أصبح (مردخاي) هو الملك العظيم في المملكة بين اليهود، وداعيًا للســلام بينهم، بعد فترة كان فيها القتل والخداع وللدمار الذي حدث بين الناس في بلاد مملكة أحشويروش الفارسية (سفر استير, ٩/١٨). وجاءت داعيته للسلام والمحبة نتيجة لصلاته وتصرفاته العملية التي كشفت عن سعة قلبه بالحب لكل الشعب في غير أنانية، إذ لم يطلب ما هو لخير نفسه وعائلته وسبطه، بل لخالص كل شعبه. ففي صالته يصرخ قائلًا: "أيها الرب الملك, إله إبراهيم، أرحم شعبك، لأن أعداءنا يطلبون أنْ يهلكونا، ويستأصلوا ميراثك" (ملطي، تادرس يعقوب، فايز، بيشوي بشرى، ٢٠٢٠م، ص٥).

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ١ ،العدد ٢ (أيلول ٢٠٢٥)، ص: ٢٩٦ - ٣١٥
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

وتظل استير هي البطلة، أو الشخصية الرئيسية في قصة السفر، والقصة في رأينا، وكما ذكر كثير من الكتاب والباحثين قصة خيالية، كتبها يهودي، عاش في عصر أحشويروش أو بعده، لأغراض معينة.

المطلب الثاني: استير البطلة الخفية والفاعلة الرمزية:

إنَّ استير فتاة من أصول يهودية، فهي الشخصية المحورية في أحداث القصة الأسطورية المعروفة بـــ قصة (استير ومردخاي) التي كتبها مؤلفها ضمن أسفار العهد القديم الموضوعة، كما أنَّ استير دخلت القصر الملكي الفارسي ضمن مجموعة من الفتيات اللواتي جُمِعن من أنحاء المملكة لاختيار ملكة بديلة عن (وشتي)، وقد كان للجمال البادئ على مظهرها، والذكاء الذي اتصفت به عقليتها، قد حازت على تفضيل ومكانة مميزة من قبل الملك (أحشويروش)، حتى أصبحت هي الملكة بناء على نصيحة من مردخاي، ولهذا فلم تكن استير رمزاً للجمال، وإنما بالخداع والدهاء السياسي، والذي صورته لنا أحداث القصة، ووصف القصة بين طابع أدبي ورمزي، فهي يهودية عاشت في الشتات، لم تكن تمتلك القدرات والحيلة حتى يكون لها دوراً في التأثير على نظام الحكم السائد آنذاك، وللذي اتصف بالقوة والقمع. (Fox, 1991, p30-48)

وإذا انتقلت إلى الكشف عن شخصية (استير) من الناحية التاريخية، فإنَّ هذا يثير لدينا سؤالًا أساسياً وهو: هل هذه الشخصية تم إثباتها في واقع الأحداث التاريخية الحقيقية؟ أم أنها صنعت من وحي الخيال والأسطورة الكتابية؟ وللإجابة على هذا التساؤل، فإنَّ التاريخ يثبت بأنه لا دليل أثري أو نقش فارسي يذكر بأنَّ هناك امرأة تسمى بـــ (لستير) أو حتى الإشارة إلى وجود شخصية يهودية تولت الحكم في عهد خشايارشا أو أي ملك فارسي، وبالإضافة إلى هذا وذاك، فإنَّ تفاصيل القصة لا توحي بوجود مؤامرات أو قوانين لم تلغى، أو صعود شخصيات يهودية للحكم والملك، مما يعني أنَّ أحداث قصة استير لا تعكس على الحقيقة أي وقائع تاريخية، وإنما هي من نسج الخيال الأدبي الرمزي، ولهذا فإنَّ هذا – سفر استير- انتمى إلى نمط الأدب السردي التهذيبي في الشتات، وليس إلى السجل التاريخي، المستخدم في تدعيم الهوية والقومية اليهودية في المنفى. (Grabbe, 2004, p 149-153)

وجدير بالذكر أن ما ورد في الوثائق الفارسية التي وصلتنا، وخاصة المنقوشة بالخطين الفارسي القديم والإيلامي، إذ تشير هذه الوثائق إلى أنَّ زوجات (زركسيس) مثل أميسْتريس، ولكن لم تذكر الوثائق استير، ولم تشر ولو إشارة عابرة إلى اسم استير. (Eisenbrauns, 2002, p 567)

وهذا الغياب في رأيي ليس دليلًا قاطعاً على عدم وجودها، لكنه مؤشّر قوي على أنَّ القصة ليست تاريخاً دقيقًا، وإنما تعبر عن قصة رمزية أدبية أسطورية، الهدف منها خدمة الأهداف للدينية والسياسية، وخاصة إذا أخذنا في الاعتبار النمط السردي والرمزي في النصوص اليهودية بعد السبي

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ١ ،العدد ٢ (أيلول ٢٠٢٥)، ص: ٢٩٦ - ٣١٥
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

البابلي. وهذا دليل واضح وصريح على عدم واقعية قصة (استير– مردخاي) في الأحداث التاريخية الواقعية، وبهذا فإنها تعد أسطورة تم خلقها لأغراض وأهداف في ذهن مؤلفها.

وقد عبر أحد الباحثين المحدثين عن أسطورية هذه الشخصية قائلًا: "إنَّ سفر استير لا يمكن قراءته كتأريخ، بل كنص وطني وديني يخلق نموذجًا نفسيًا لمواجهة الخطر والعداء الجماعي". (Grabbe, p 155)

ووفقًا لهذا المنظور، فإنَّ استير ليست فردًا تاريخيًا موثقًا، بل شخصية روائية رمزية تُمثّل النموذج اليهودي للمرأة القوية، الحكيمة، المخلصة لشعبها، التي تملك من الذكاء ما يمكّنها من قلب الموازين داخل السلطة الغريبة والمعادية.

المطلب الثالث: مردخاي الحكيم المقاوم والرجل البسيط:

يُعد مردخاي شخصية محورية تتطور تدريجيًا في سياق السرد، ويبرز بوصفه مثالًا على الشخصية الأخلاقية الصامدة التي تُمارس تأثيرها في الخفاء قبل أنْ تتصدر المشهد. يتولى تربية استير بعد فقدان والديها، ويظل موجّهًا لها حتى بعد دخولها قصر الملك. كما يلعب دورًا حاسمًا عندما يكتشف خطة لاغتيالات في بلادفارس، إلا أنَّ هذا العمل البطولي لا يُكافأ فورًا،بل يُترك دون تقدير، ليعود لاحقًا في سياق الحبكة كعنصر مفصلي، ويُمثل رفضه الانحناء لهامان نقطة تحوّل تكشف عن التزامه بهويته الدينية ورفضه الخضوع لهيبة السلطة الفاسدة. في نهاية الرواية، يتبوأ مردخاي منصبًا رفيعًا في الدولة، في مفارقة تُبرز انقلاب موازين السلطة لصالح رجل بسيط من الشعب، مقابل سقوط شخصية نافذة كانت ترمز إلى الكبر والظلم. (Grabbe, p 150)

وفيما يتعلق بحقيقة شخصية (مردخاي) الواردة في القصة – فإنَّ الدراسات النقدية الحديثة، قد تناولت بالنقد التاريخي لهذه الشخصية، وقد توصلت إلى الشك حول تاريخيتها– الشخصية–، فلم يكن هناك أي إشارة خارج الكتاب المقدس تؤكد على وجود شخصية حقيقية باسم (مردخاي) في بلاط الملك الفارسي خشيارشا، ولهذا فقد كشف بعض من الباحثين عن أنَّ اسم (مردخاي) قد يكون تحوير للإله (مردوخ)، والمعروف في الفكر الديني البابلي القديم، وقد مثلت شخصيته قوى النظام مقابل الفوضى، كما جسّد (مردخاي) في سفر استير دور المخلّص من مؤامرة شاملة ضد شعبه. (باقر, بلا– ت، ١/٢٢١).

وكذلك فإنَّ شخصية – في رأيي– (مردخاي)، أقرب إلى التأليف الأدبي، مما يدل على عدم وجودها في الوقائع التاريخية المثبتة، ومن هنا فالغرض من القصة الواردة في سفر (استير) هو محاولة لإثبات حادثة سياسية محددة، هدفها تعزيز الهوية والانتماء في سياق الشتات اليهودي في هذه الفترة، وهذا يؤكد في رأينا على فرضية أنَّ القصة أسطورية وليست حقيقية.

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ١ ،العدد ٢ (أيلول ٢٠٢٥)، ص: ٢٩٦ - ٣١٥
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

المطلب الرابع: الملك أحشويروش وتجسيده للسلطة المتقلّبة:

لقد قدم مؤلف نص قصة لستير شخصية الملك أحشويروش كشخصية متقلّبة، متأثرة بمن حولها، بل وفاقد للعمق السياسي وخداعاته، ومع هذا وصف بما كان له من قدرة مطلقة، وتمثل هذا في عزل الملكة (وشتي) لأنها خالفت الأوامر، ولكنه قد يقبل العفو لكل الشخصيات التي ترتكب خطأ، وذلك بناء على ما يُعرض له من أدلة، مما يجعله أداة بيد آخرين أكثر دهاءً، مثل هلمان أو استير، وقد علّق روبرت ألتر (Robert Alter) على شخصيته بقوله: "إنَّ الملك هنا ليس بطلًا ولا طاغية، بل كائن أسطوري، فهو أداة في يد الحبكة تُجسّد هشاشة السلطة التي لا يحكمها منطق". (Alter, 2010, p 489). ويتبين لنا من خلال هذا النص المهم أنَّ ما أشار إليه حول شخصية الملك (أحشويروش) بأنه شخصية أسطورية وليست حقيقية، بحسب الأحداث الواردة في سفر استير.

ومن هنا فإنَّ شخصية (أحشويروش) الواردة في سفر استير ليس شخصية حقيقية، ومشابهة لشخصية (زركسيس الأول) التاريخية، وإنما هو نوع من التخليق الأدبي الرمزي لملك من ملوك الشرق القديم خاصة ملوك حضارة بلاد فارس وبلاد بابل، وذلك كله من وجهة نظر يهودية، فالمراد من هذا التصوير الأدبي هو محاولة مماثلة للسلطة المتأرجحة التي يمكن ترويضها بالتقوى والحكمة. (Rabbe, p 45).

وفي رأيي أنَّ شخصية الملك أحشويروش ما هي إلا أسطورة مزيفة لا تمت للواقع التاريخي بصلة حقيقية، وإنما هو تزييف للحقائق. وقد حاول مؤلف قصة استير الاستعانة بالشخصيات الملكية التابعة لحضارات الشرق القديم وخاصة فارس وبابل، وهذا ما يجعلنا القول بتأثر هذه القصة بالحضارتين الفارسية والبابلية.

وقد عدَّ الملك أحشويروش في سفر (استير) رمزاً للسلطة القابلة للتأثير ومصدر للخطر عندما استجاب لهامان، ومصدر للنجاة حينما استجاب لاستير، فهذه الازدواج في الصفات تجعل منه عنصراً حاسمًا ومؤثرًا في أحداث القصة الواردة في السفر، وفي بنيتها الدرامية، وكذلك فهي تسترجع الفكرة الداعية إلى أنَّ مصير الشعوب في يد ملوكها وقراراتهم، على الرغم من عدم إدراكهم لنتائج هذه القرارات.

ومن هنا يشير أحد الباحثين إلى أنَّ تصوير الملك بهذا الشكل يهدف إلى خلق مساحة سردية تتيح للبطل الأخلاقي في قصة (استير- مردخاي) أنْ يتفوق على السلطة الرسمية لا من خلال الانقلاب، بل عبر الحيلة واللطف. (Fox, p 58).

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ١ ،العدد ٢ (أيلول ٢٠٢٥)، ص: ٢٩٦ - ٣١٥
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

المطلب الخامس: هامان الخصم الشرير ونموذج الطغيان الرمزي:

وصفت شخصية (هامان) في سفر استير بأنه شخصية شريرة بل إنه أساس الشر الوارد في أحداث القصة، وقد وظف في إحدى المناصب المرموقة، بل أنه طلب من البشر الخاضعين له تحت رئاسته بالسجود له، ولكن رفض مردخاي دفعه إلى التخطيط لإبادة اليهود، فقد جمع في شخصيته بين صفات كثير منها على سبيل المثال: الانتهازية، والانفعالية، والشدة، وقد تطور صراعه مع مردخاي حتى أصبح هذا الصراع صراعاً على الخير والشر، مما جعل نهاية هامان مأساوية، إذ يُشنق على نفس المشنقة التي أعدّها لمردخاي. ووفقًا لفوكس، فإنّ هامان قد جسّد خصماً أسطورياً، وقد سقط في فخ مؤامرته، وبهذا فإنّ النص يعيد لنا تكرار بنية سقوط الظالم في الأدب الشرقي القديم. (Fox, p 55-62).

وإذا انتقلت إلى مناقشة حقيقة هذه الشخصية بغية الكشف عن وجودها في الواقع التاريخي، أم أنها تنتسب إلى الأسطورة الأدبية والرمزية، وسوف نوضح حقيقة هذه الشخصية –هامان– التي بلغت أهمية كبيرة في سفر استير.

ويتضح لي أنَّ شخصية هامان غير موثّقة في وثائق بلاد فارس أو الكتابات الأخمينية، فلا يوجد بها وزيراً بهذا الاسم في بلاط الملك خشايارشا، وإضافة إلى هذا أيضًا، فمن المفترض أنَّ اسمه يعد تحريف ساخر من اسم الإله العيلامي (هامان) أو (همن)، والمعروف أنه يمثل إله الغضب والحرب في بعض النقوش، ما يُضفي على الشخصية طابعاً أسطورياً.

وإذا كنا قد تناولنا شخصيات قصة (استير ومردخاي)، بقراءة تحليلية مقارنة من أجل الكشف عن تلك الشخصيات الواردة في القصة، وذلك للإجابة على سؤال: هل هي شخصيات حقيقية موثقة في الواقع التاريخي أم أنها شخصيات أسطورية؟ وقد تبين لي أنها أسطورة أدبية رمزية لا تمت إلى الحقائق التاريخية بصلة.

ومما ذكرته سابقًا يرتد إلى أنَّ هذا السفر من الأسفار التي أثارت الجدل في الأوساط الدينية اليهودية والمسيحية، بل ولم يتوقف عند هذا الحد بل امتد الجدل إلى الفكر الديني في حضارات الشرق القديم، وخاصة الحضارة البابلية وحضارة الفرس على وجه التحديد، وقد ظهر لي من خلال ما عرضت له أنَّ كاتب قصة (استير ومردخاي) قد تأثر بما ورد في التاريخ البابلي والعيلامي، فاقتبس الكثير من الأفكار والأحداث التاريخية التي تتعلق بملوك بابل القديمة، كما أنه صور في قصته لشخصيات من وحي الخيال الأدبي الرمزي.

وقد أشار إلى ما سبق قوله، الباحث طه باقر لما قال أنَّ الروايات الدينية في العهد القديم تؤكد على الأثر البارز للثقافة الدينية البابلية، وتحديداً في استخدام للمكان والرمز، كما هو الحال في قصة استير التي تدور في شوشن، وهي مركز مهم من مراكز الحضارة العيلامية. (باقر، ١/٤١٦).

وكذلك ظهرت الأساطير الرافدينية، تلك التي تتناول الإلهة إنانا/ عشتار، نمطًا سرديًا متكرّرًا يتمثل في تدخل شخصية نسائية قوية لتغيير مصير شعبها أو لإعادة التوازن بين قوى الفوضى والنظام – وهي بنية تظهر لاحقًا في روايات الكتاب المقدس، مثل قصة استير. (Dalley, 2008, p 79)

المبحث الثاني: الرؤية النقدية لقصة استير ومردوخاي:

بعد أنْ اطلعنا على ملخص قصة استير ومردخاي في بلاد فارس كما وردت في سفر (استير) علينا أنْ نوضح هل (استير ومردخاي) بطلا القصة شخصيتان تاريخيتان أم أنَّ قصتهما عبارة عن أسطورة عبئت بوجدان عميق الجذور؟ (صبري، ١٩٧٠م، ص١٧). والجواب على ذلك يتركز أولًا حسب رأي الباحث في دراسة السفر الذي يحتوي على هذه القصة وهو سفر (استير).

ليس هناك أي دليل ينبئ عمن هو كاتب هذا السفر، وعن تاريخ كتابته (سعيد، بلا- ت، ص١٥٩), فمؤلفه الحقيقي مجهول، بالرغم من نسبته إلى مردخاي. (علي، ص١٧٤)، (سفر استير, ٩/٢٠).

ويرفض بعض علماء الأديان رفضًا قاطعًا ويؤكدون أنَّ الذي كتب أسفار: (استير وعزرا ونحميا) هو مؤرخ واحد، أما من يكون هذا المؤرخ فإنه لا يستطيع حتى مجرد التخمين به. (سبينوزا، بلا- ت، ص٣١٨-٣١٧). أما فيما يتعلق بتاريخ كتابته فقد ورد أنه لا توجد لدينا المعلومات الكافية لتقدير تاريخ كتابة هذا السفر على وجه التحقيق. (مجمع الكنائس الشرقية، ص٦٥).

فلا يدري أحد متى كتبت قصة هذا السفر وإنْ كانت لغتها وأسلوبها تنبئان على أنها كتبت بعد زمن الأحداث التي تسوقها بوقت طويل. (سعيد، ص١٥٩).

ولذلك فإنَّ معظم النقاد يميلون إلى القول بأنَّ هذا السفر قد كتب في العصر الإغريقي الذي بدأ بفتوح (الإسكندر المقدوني) عام ٣٣٢ ق.م، فيظنون أنه كتب حوالي عام ٣٠٠ ق.م. (مجمع الكنائس الشرقية, ص٦٥).

ويرجح على أنه لم يتم تأليفه قبل القرن الثالث ق.م. (علي، ص١٧٤).

بل ونهب بعض النقاد إلى أنه كتب في أوائل القرن الثاني ق.م, ويحدده البعض عام ١٣٠ ق.م ابان شدائد اليهود التي تعرضوا لها في ذلك العصر. (ديلي, ١٩٦١م، ص٣٩٢، (سعيد، ص١٥٩), (نويهض، ١٩٨٤م, ص ٥٤)، (سبينوزا, ص٣٤).

هذا وقد دفعت الوحشية التي تتجلى في قصة هذا السفر كثيرين من علماء اليهودية والمسيحية إلى التفكير طويلًا في قيمة هذا السفر وصحة ضمه إلى العهد القديم. (علي, ص١٧٢-١٧١).

فظلت مكانته بين أسفار الوحي القانونية (عندهم طبعًا) موضع نقاش كثير وجدل طويل ولم يوضع بين الأسفار المقدسة إلا بعد جهد كبير في مجمع (جامينا) حوالي عام ٩٠م (تأليف: مجمع الكنائس

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ١ ،العدد ٢ (أيلول ٢٠٢٥)، ص: ٢٩٦ - ٣١٥
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

الشـــــرقية، ص٦٤)، (ســــبينوزا، ص٣٤).فأقرته الكثرة المطلقة من رجال للدين اليهودي وجعلت موضوعه عيداً من أهم الأعياد اليهودية التي يحتفلون بها إلى يومنا هذا.

بل أنَّ أحد رباني اليهود في القرن الرابع الميلادي لم يتورع من أنْ يعلن أنَّ قصة (استير) لا تقل أهمية دينية عن توراة موسى عليه السلام كما أنها أرفع من مزامير داود عليه السلام وأسفار الأنبياء عليهم السلام. (علي، ص١٧١).

أما (مارتن لوثر) فقد رفض عدّها ضمن الأسفار الموحى بها وقال: "ليت هذا السفر لم يرد ذكره في الأسفار المقدسة"، فهو يراه سفر غير مقدس، ففيه لا يوجد حتى اسم الله تعالى كما أنه ليس فيه ما يحمد عليه، فلذلك حسب رأيه فكان عدم ذكر اسم الله تعالى ولو مرة واحدة سبباً من أسباب رفضه؛ إذ أنَّ القصة تخلو تماماً من ذكر إله اليهود. (سعيد، ص١٥٩), (علي، ص١٧٢).

وهناك سبب آخر في رفض هذا السفر وهو أنه لا يوجد اقتباس واحد منه في العهد الجديد ولا يشير إليه كتاب العهد الجديد. (مجمع الكنائس الشرقية، ص ٦٥).

كما أنَّ غياب أي نسخة من سفر استير في مخطوطات البحر الميت (Qumran Texts) قد أُخذ كإشارة إلى أنَّ بعض الطوائف اليهودية – مثل طائفة الأسينيين – ربما لم تكن تعترف به ضمن النصوص المقدسة، مما يُثير تساؤلات إضافية حول أصالته وشرعيته في السياق الديني القديم(Vermes, 2004, p 41)

ولأنَّ هذا السفر غير موجود بين مخطوطات البحر الميت جعل العلماء يستنتجون أنَّ الفئة التي رفضت هذا السفر المشبوه برمته لأنه مطعون بصحته.

ولهذا يُعد سفر استير من أكثر أسفار العهد القديم إثارةً للجدل من حيث اختلاف نسخه بين التقاليد النصية اليهودية والمسيحية، فبالنسبة للنسخة العبرية، كما وُثِّقت في النص الماسوري التي تخلو تماماً من الإشارات الدينية المباشرة: فلا يُذكر فيها اسم الله، ولا توجد فيها صلوات أو إشارات صريحة إلى الشعائر الدينية، الأمر الذي أثار استغراب عدد من المفسرين واللاهوتيين القدماء والمعاصرين على السواء. (Moore, 1971, p 245)

وعلى النقيض من ذلك، فقد ظهرت النسخة اليونانية في الترجمة السبعينية، وعلى نحو مغاير في السياق الوارد فيما يتعلق بهذا السفر، وقد تضمن هذه النسخة إضافات أخرى جديدة لم تكن موجود في النسخة العبرية، ومنها:

- حلم مردخاي وتأويله: (Esther 11:2–12:6, LXX) .
- دعاء مردخاي إلى الله: (Esther 13:8–18, LXX) .
- صلاة استير قبل دخولها على الملك: (Esther 14, LXX) .
- مشهد الامتثال أمام الملك أحشويروش بطريقة درامية دينية. (Moore, p 234)

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ١ ،العدد ٢ (أيلول ٢٠٢٥)، ص: ٢٩٦ - ٣١٥
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

وتعليقاً على الاختلافات السابق ذكرها، يتضح أنَّ سفر استير في الصورة السبعينية ليس نصاً جامداً، وإنما هو نص مفتوح أضيفت إليه العديد من القصص، مما كان عرضة للتحريفات والإضافات من أجل تعديل بعض من جوانبه سواء أكانت دينية أم اجتماعية أم أخلاقية. (Moore, p 234–235)

ومما سبق يعني في رأيي أنَّ قصة (استير) قد أضيفت إلى الترجمات السبعينية على وجه الخصوص، ومن ثم فقد استفاد منها اليهود فيما بعد، في التحريف والإضافة ووضع قالب أدبي رمزي لأسطورتهم المزعومة.

ومن هنا فقد رجح الباحثون على أنَّ الإضافات السابقة ذكرها ليست ترجمة فقط لبعض النصوص أو القصص، وإنما كانت تفسيرات موسعة، الهدف منها إدخال أبعاد جديدة منها البعد الديني وكذلك بعداً أخلاقياً غير موجود بالنص العبري، وقد دعا هذا كله بعض الفرق اليهودية ومنها على سبيل المثال: (طائفة قمران) التي أقصت سفر استير من نصوصها المقدسة، والدليل على هذا عدم وجود أثر لها بمخطوطات البحر الميت كما ذكرنا، رغم وجود نسخ كاملة أو جزئية من معظم أسفار العهد القديم الأخرى.

فقصة (مردخاي) هذه قد جاءتنا بشيء من التفصيل في بعض تراجم الكتاب المقدس، وبعض التراجم اشتملت على كثير من الزيادات التي لا نجدها في النص العبري مثل: حلم (مردخاي) وتأويله، واكتشاف المؤامرة ودعاء (مردخاي)، وامتثال (استير) أمام الملك الفارسي أَحشْويِروُش. (علي، ص١٧٣ و٢٠٥-٢٠٦). ولذلك فإنه تم فصل هذه الزيادات عن السفر ووضعها في آخره وأعطيت مكاناً في الأسفار المنحولة المشار إليها سابقاً. (مجمع الكنائس الشرقية، ص٦٥-٦٦)، (سبينوزا، ص٣٤).

وهذا ما يشير إليه الباحثون الأوروبيون، وقد كشف عن بعض التراجم القديمة، وعلى رأسها الترجمة السبعينية، التي أضيفت عليها الكثير من المشاهد الدرامية الدينية، والتي لم تكن موجودة بالنص العبري الأصلي، مثل حلم مردخاي، وصلاته، والامتثال الدرامي لاستير أمام الملك، ولذلك فهناك البعض من النسخ التي جمعت فيها كل هذه المشاهد في نهاية السفر على وجه التحديد، وذلك في إطار ملحقات منفصلة، وقد تم إدراجها فيما بعد بعنوان يطلق عليه اسم (الأسفار المنحولة) أو (الأبوكريفية). (Moore, p 33–38)

وكان هذا هو حال السفر الذي يروي قصة (استير ومردخاي)، فإنَّ كثيراً من الشراح يذهبون إلى أنَّ القصة ليست تاريخية مستدلين على ذلك بأنه ليس في سجلات الملك الفارسي (أَحشْويِروُش) الباقية حتى اليوم أي معلومة عن استير ومردخاي، حيث لا يوجد ذكر لـ (استير)، أو (مردخاي) أو (هامان). (سعيد، ص١٦٠)، (علي، ص١٧٣-١٧٤).

وكذلك من التناقضات الواضحة، والتي تبرز أخطاء تاريخية داخل السفر، وذلك لما ورد ذكره من وقائع وأحداث غير موجودة على الإطلاق في هذه الحقبة المشار إليها، فضلًا عن تهميش الجغرافيا السياسية الواقعية للإمبراطورية الفارسية آنذاك، وإضافة إلى هذا كله تناقض تاريخ توقيع مراسم الملكة في سفر (استير)، مع نمط التشريع الفارسي المعروف في هذا التوقيت، وهذا يؤكد بوضوح على أنَّ مؤلف (السفر) لم يكن يعرف بدقة الأحداث والوقائع التاريخية، بل لم يكن مطلع على التقاليد الكلاسيكية للإمبراطورية الفارسية وخاصة من ناحيتها الإدارية، ولهذا فإنه من المرجح أنه اعتمد على معلومات ثقافية محلية أو بيانات ملفقة. (Moore, p 45–49)

وأما من زاوية تحليل نفسي اجتماعي، فنذهب إلى أنَّ إستير تُقدم في القصة كنموذج للمرأة اليهودية التي تُوظف ذكاءها وجمالها في سبيل خدمة اليهود، وهو ما يعكس أُطروحة خفية عن الدور السياسي الرمزي للأنثى في الأساطير اليهودية، رغم الحضور الذكوري الطاغي في غيرها من الأسفار.(Berlin, 2001, p 16–19)

ومن هنا يتبين رأي بعض النقاد في أنَّ قصة استير عبارة عن انتقام أدبي وخيالي من جانب اليهود تجاه الفرس، وذلك من خلال مجاز تقمص السلطة: ملكة يهودية، ووزير يهودي، وإبادة جماعية لأعداء اليهود. ومن هذا الخيال كما يتضح للباحث ينبثق عيد (البوريم) الذي يخلد تلك اللحظة الدرامية، رغم الطابع الدموي والانتقامي الذي يكتنفها. فاستير لا تكتفي بمجزرة واحدة، بل تطلب يومًا إضافيًا للقتل، في مشهد يصوره البعض على أنه تعبير عن شعور مضاد للاندماج مع الآخر ومشحون بالعداء الطائفي.

بل انه لا يعرف شيء حتى من السفر عن موت (استير) ولا عن كيفية موتها أو تاريخه ومتى كان ذلك بالإضافة إلى بعض الأخطاء والتناقضات التاريخية التي وقع فيها السفر. (علي، ص١٧٢).
وانتهى العلماء إلى أنَّ هذه القصة عبارة عن أسطورة يرسم بها مؤلفها الطريق للنساء الإسرائيليات أنْ يتخذن من جمالهن وسيلة لخدمة بني إسرائيل وخدمة أغراضهم. (شلبي، ١٩٧٨م، ص٢٤٨).

وذكروا أنها وضعت لتشجيع اليهود على المثابرة والمصابرة في وجه العداء الشديد والكراهية البالغة والاضطهاد المرير الذي كانوا يعانونه في تلك العصور. (سعيد، ص١٦٠)، (ديلي، ص٣٩٢).

ومن ثم فإنَّ توثيق مؤلف السفر والقصة لمشهد طلب (استير) لأن تُمنح يومًا آخر للقتل، فهو بمثابة تجسيد لفانتازيا الانتقام القومي عند اليهود، موضّحًا أنَّ الكاتب العبري استخدم هذا الطلب للدلالة على سمات مثل الغرور الوطني وانتفاء الرحمة، وليس مجرد رد فعل منطقي على التهديد. (Fox, p 175)

حيث تناولت هذه الأسطورة الحديث عن كراهية الفرس لليهود واضطهادهم وشحذ فيها الكاتب قريحته واستعمل خياله وتمنى لو أنَّ ملكة إيران كانت يومًا يهودية وكبير الوزراء أيضًا حتى ينتقم اليهود من منافسيهم انتقاماً أشد. ولهذا فهم يحتفلون في أحلام هذه الخيالات التي تجعل (استير) الأنثى

لا تقنع بمذبحة واحدة في يوم واحد، إلى جانب إظهار تعصب اليهود لبعضهم ومحاولتهم نسبة الخير والفضيلة إليهم فقط. (علي، ص١٧٢).

ولذلك فإنَّ سفر (استير)- بما يحتوي عليه من هذه القصة الأسطورية – هو كتاب بعيد كل البعد عن الدين, إذ هو درس عن كيفية دفع سلطة (الجوييم) وإلى تحطيم شعبها ثم وضعه تحت إمرة اليهود الماحقة والباطشة. (ديب، ١٩٨٠م، ص٤٤).

ومن المنطلق السابق، فإنَّ هذا السفر من أكثر الأسفار التي أثارت الجدل بمضمونه ومحتواه القائم على السرد القصصي بفكرة أيديولوجية، وليست دينية صرفة، على العكس من كل أسفار العهد القديم عند اليهود، فقد تحولت السردية إلى أسطورة قومية وسياسية المعبّرة عن أحلام الانتقام والعداء والخداع، وقد تنبه كثير من الباحثين إلى أنَّ السفر معبر عن نزعة عدائية ضد كل ما هو غير يهودي، وبصفة خاصة الفرس باعتبارها في أذهانهم قوة عدائية مستبدة ضد اليهود، ومن هنا كان الرد من خلال هذه القصة التي روجت للدماء والقتل بوحشية ودموية عنيفة ضد الفرس، وذلك حينما طلبت بطلة القصة – استير- من الملك أنْ يُمد يوم الإبادة ليومٍ آخر. (سفر استير, ٩/١٣).

وهذا في رأيي يعبر عن نظرة عدائية وغير أخلاقية لا يتسق مع الشرائع السماوية التي دعت بما فيها اليهودية إلى الأخلاق الحسنة، ولكن اليهود بتحريفاتهم للعهد القديم قد فقدوا الصواب عن الدين الحق والصحيح الذي يدعو الجميع إلى السلام ونبذ الحرب والصراع والعداء، كما أنه لا يتناسب مع الأدب كعلم من العلوم الإنسانية التي هي أداة معبرة عن القيم والمبادئ الإنسانية الراقية.

وقد أشار جرينسبان (Greenspahn) أنَّ السردية الخاصة بسفر (استير)، قد كشف عن النزعة العصبية التي يتصف بها اليهود، وأنهم يحملون الخير بإطلاق، فيما أنَّ الآخر يناصبهم العداء والتهديد الوجودي، ومن ثم ينبغي القضاء على الآخر، وهذا ما جعل من عيد البوريم، والذي تتخلد فيه هذه الذكرى احتفالًا بأنهم ثأروا لأنفسهم، وليس بالتحرر. (Greenspahn, 2010, p 39–57)

وكذلك يشير يوهانس وايس (Johannes Weiss) إلى أنَّ الطابع القومي العنيف لهذه القصة السردية جعل من النص نصًا دعائيًا قوميًا يهوديًا، وبالتالي فليس ثمة علاقة للنص بالوحي الإلهي المنزل من السماء، وهذا ما دفع بعض من اليهود التقليديين يترددون في التسليم والقبول بهذا السفر ضمن الأسفار الأساسية للعهد القديم، وقبل أنْ يُفرض لاحقًا بفعل التأثير السياسي والثقافي في عصر المكابين. (Vermes, et al ,1973, p 563–565)

فهو يقوي نزوع اليهود إلى التعصب الديني والعنصري وينفث روح الحقد والسخط على الأمم الأخرى ويسوغ تأجيج الفتن والمذابح فيها واستئصال شأفة مناوئي اليهود أينما كانوا. (ناصف، ١٩٦٥م، ص١١).

ويقول للباحث إذا كان اليهود قد كتبوه لهذه الأغراض, فمن أين جمعوا مادته حتى صـــاغوا منها تلك الأسطورة؟

أنَّ أسماء بعض الشخصيات الرئيسية المذكورة في القصة أسماء بابلية, أو عيلامية (مجمع الكنائس الشرقية، ص٦٣). كما سبق أنْ أوضحت هذا الأمر فيما سبق في المبحث الأول من هذا البحث، وقد تأكد لنا بما لا يدع مجالًا للشك صحة هذه الفرضية.

فاسم (لستير) هو اسم (عشتار) إلهة البابليين ويقابله في العبرية (عشتاروت). ومن هذا المنطلق, فعيد البوريم مقتبس من جذور بابلية شرقية قديمة خاصة العيد المعروف في الفكر الديني البابلي بعيد أكيتو، ويحتفل به في بابل وآشـور وأوروك بدعوة من كل الآلهة للحضـور لمشـاهدة الطقوس التفصـيلية. (بارندر, ١٩٩٣م، ص٣٣-٣٤).

واسم (هدسة) وهو الاسم العبري لاستير ومعناه شجر الآس (سفر استير, ٢/٧), وهو قريب من الكلمة البابلية (حد شتو)، أي عروس، وكان أصلًا يطلق على شجرة الآس كما ذكرنا (مجمع الكنائس الشرقية، ص٦٣). وقد رجحت بعض الدراسات أنَّ الاسم –هدسة– كما أوضحنا مقابل للاسم البابلي المعروف بـــ (حد شتو)، ويعني به (العروس) أو (الفتاة الجميلة). وقد ارتبط بشجرة الآس المقدسة في طقوس البابليين القدماء. (Assen: Van Gorcum, 1997, p 67)

و(مردخاي) اسم الاله البابلي الرئيسي (مردوخ), و(هامان) هو نفسه (هامان أو هومان) أحد الآلهة الرئيسية في عيلام. (مجمع الكنائس الشرقية، ص٦٣).

وقد كان لاسم (هامان) أهمية بالغة في أحداث القصة، بل هو خصمًا أساسيًا فيها، وقد استوحاه كاتب القصة من اسم الإله العيلامي التابع لمجموعة الأساطير الشرقية القديمة، وقد أشارت بعض الدراسات إلى وجود تشابه تام بين هذا الإله وبين (هامان) الوارد ضمن قائمة آلهة عيلام، ومن المفترض أيضًا أنَّ القصـة الأسـاسـية التي تدور أحداثها حول صـراع بين إلهين هما: الإله مردوخ هو شـخصـية (مردخاي) والإله هامان أو هومان هو شـخصـية (هامان)، ثم أُعطيت القصـة لاحقًا طابعًا تاريخيًا (Yamauchi, 1980, p 53), وذلك بحسب مؤلفها في قصة (استير ومردخاي)، والذي صور هذه الأحداث كما تبين لنا وفقًا لما قرأه في القصـة البابلية القديمة، ومن ثم فقد عبر عنها بلغة رمزية أدبية لكي يحاكي واقعًا تاريخيًا.

وإنَّ (شـوشـان) عاصـمة (عيلام) هي المكان الذي جرت فيه حوادث هذه القصـة. (مجمع الكنائس الشرقية، ص٦٣-٦٤)

وتعد هذه المدينة هي عاصمة لمملكة عيلام التاريخية، والتي اتخذت كمركز إداري أساسي للدولة الأخمينية الفارسية، وهذا يدل على الإطار الجغرافي العيلامي للقصة (Briant, 2002, p 17–19). مما يدلل هذا على الجذور القديمة التي اقتبست منها قصة استير.

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ١ ،العدد ٢ (أيلول ٢٠٢٥)، ص: ٢٩٦ - ٣١٥
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

وقد تمكن بعض للباحثين في الغرب بتحليل النقوش والألواح الإدارية للتابعة لمدينة شوشن، ومعمارها الأثري، وهذا يعكس على حد قول هؤلاء الباحثين من أنَّ (سفر استير) هو انعكاس لواقع جغرافي وتاريخي حقيقي عندما سردت أحداث هذه القصة في تلك المدينة، ومن هنا فقد ارتبطت خلفية السرد توراتيًّا بدراما جغرافية تأسست فعليًا في قلب حضارة معروفة (De Graef, et al, 2018, p 267–311)

كما أظهرت هذه الدراسة أنَّ الطوبوغرافيا الزراعية لتلك الوثائق، تُظهِر التفاصيل التجارية والزراعية وجود (حقول شوشان) كنمط حضري مرتبط بالبنية الاجتماعية والسياسية, والمضيئة على دور شوشان كعاصمة حضارية آنذاك. وتؤكد الدراسة أنَّ الوثائق تحدد أسماء الأماكن والتوزيع الطوبوغرافي للحقول بشكل دقيق، مما يعزز الفرضية القائلة بأنَّ سرد (شوشن القصر) في سفر استير مبني على معرفة فعلية بالموقع وعلاقاته المجتمعية، وليس مجرد إطار أدبي رمزي. (De Graef, et al, 2018, p 267–311)

ولكني اختلف مع الطرح السابق الذي يشير إلى أنَّ قصة (استير ومردخاي) هي قصة حقيقية من ناحيتها التاريخية، بناء على ما عرضته، ولأنه بحسب العديد من الدراسات الغربية على وجه التحديد التي تطرقت لهذه القصة أيضًا، وقد أشارت إلى أنَّ القصة تعد أدب رمزي أسطوري، بل ويمكن أنْ نضيف أنَّ مؤلف هذه القصة قد اعتمد على أحداث القصة البابلية الحقيقية من أجل إعطاء طابع حقيقي لقصته، مما يدفع الباحثين أو القراء عمومًا إلى أنَّ القصة ترتد إلى أحداث تاريخية واقعية.

بل، ويقول بعض المؤرخين والباحثين في الأديان أليست (استير) تجسيداً حيًّا للربّة (عشتار) لأنَّ التشابه بين الاسمين لا يخفى على إنسان، ويضيف إلى إنه ليس هي فحسب، وإنما الرجل الذي كفلها وهو (مردخاي) كاد أنْ يكون اسم الإله (مردوخ) أو (مردوك) زعيم الأرباب الذي أصبح الإله الأسمى في عصر حمورابي. (صبري، ص١٧).

ولذلك فإنَّ العلماء يذهبون إلى أنَّ سفر (استير) والذي يتحدث عن عيد البوريم البابلي الأصل ما هو في الواقع الا انتحال من الأدب البابلي، (فاستير) هي في الواقع (عشتار) و(مردخاي) عبارة عن الإله (مردوخ)، فالقصة عبارة عن ملحمة حربية بين الآلهة البابلية والعيلامية. (علي، ص١٧٢).

وأنه بالرغم من أنَّ استير لم تكن غير شخصية قصصية من نسيج الخيال اليهودي الخصب, إذ لم يقم دليل واحد على وجودها تاريخيًا، أو على ممارستها هي وقريبها مردخاي هذا النفوذ الواسع النطاق في القصر الامبراطوري الفارسي. (ظاظا، ١٩٨٥م، ص٢١٤).

بالرغم من ذلك فإنَّ النزعة الصهيونية التي تصيب نفوس اليهود بين الفينة والأخرى منذ السبي البابلي, وقد شاءت أنْ يجعل هؤلاء اليهود من (استير) وقصتها لا رمزاً للدهاء اليهودي وما يزعمونه من عناية الله تعالى عناية خاصة بهم وحدهم،بل جعلوا هناك ارتباطًا بين

(استير) وما كان من غرام الإمبراطور الفارسي بها، وبين موضوع العودة من السبي البابلي وانتشر ذلك في تراثهم الشعبي، وفي المراسيم التي يقيمونها احتفالًا بعيد البوريم. (ظاظا، ص٢١٤).

وتجدر الإشارة إلى أنَّ قصة (استير) تمت بصياغة جديدة في المخيال اليهودي الحديث، وربط هذه بفكرة العودة من السبي البابلي، من خلال وجود امرأة يهودية تدعى استير في السلطة الفارسية آنذاك، فهذا كله يرمز إلى مسألة استعادة القومية الرمزية، بل وفي تفسير يهودي شعبي معاصر، باتت قراءة قصة (استير) على ذكاء اليهود ومراوغتهم القوية للملوك وغيرهم, وهذا كله موجه للتاريخ اليهودي ولصالحهم. (Janzen &T. Clark, 2002, p 56)

وقد تناول يوسف زيدان بالتحليل كيفية توظيف النصوص الدينية، بما فيها التوراتية، لتبرير العنف باسم الدين والهوية، معتبراً أنَّ النصوص الدينية تتحول في السياقات السياسية إلى أدوات خطابية تستخدم التراث لتبرير السلوك والعنف. (زيدان, ٢٠٠٩م، ص ٢١٢–٢١٣).

ويتبين للباحث أنه يمكن الربط بين الاستخدام الأسطوري للقصة وأحداثها، لأجل تبرير العنف ضد الآخر استناداً إلى وقائع تاريخية، وذلك باسم التاريخ والتقاليد، ومن هنا فإنَّ الجماعات القومية اليهودية التي اعتمدت على أساطير أدبية من أجل تبرير عنف وقائي ضد الآخرين، وهذا يؤكد على أنَّ المخيال الأسطوري يُستغل لتشويه الآخر وتقويض سرديات الصراع تحت ستار التراث الديني. ويشير ضيف إلى أنَّ سفر استير إبداع أدبي معقد للغاية، لأنه عال في مستواه الفني سواء في حبكته أم في أساسه النفسي، فهو يمثل تحللًا كبيراً من ناحية وتطرقًا قوميًا دينيًا من ناحية أخرى. (ضيف, ٢٠١٩م, ص ٢١).

ويتضح لنا مما سبق أنه على الرغم من النزعة الأسطورية والدعائية التي روجت لها قصة (استير ومردخاي)، أدى هذا الادعاء إلى حدوث تحول في وجدان اليهود خاصة للذين تعرضوا لأزمات الشتات في فترة تاريخية محددة، بحيث جعلوا من هذا السفر أداة رمزية بالغة الأهمية تدفع نحو الانتماء القومي لليهودية، وقد تبنت الصهيونية الحديثة هذه القصة من أجل الترويج لخطاب تعبوي يسوق للفكرة التالية وهي: عناية الرب الخاصة بشعبه المختار, بل و(الترويج للانتصار التاريخي على الآخرين)، وذلك من خلال حبكة سردية ورمزية أسطورية.

وهكذا فإنَّ الصهيونية الحديثة تضلل وتخلط وتستغل حتى الأساطير في إشعال نار العصبية والافتعال العاطفي الأهوج الذي لا يقوم على دليل صلب من التاريخ بقضية خلقوها من العدم. (ظاظا، ص٢١٤–٢١٥).

الخاتمة

وختاماً لهذا البحث الذي تناولت فيه جذور اقتباس أسطورة قصة استير ومردخاي في اليهودية من بابل وعيلام، وذلك من خلال مبحثين حاولت من خلالهما عرض الجذور الفكرية لهذه القصة التي خصص لها سفر في العهد القديم، وهذا السفر الذي أضيف بتصوراته ونصوصه إلى أسفار العهد، مما يدلل على حدوث التحريفات والإضافات التي تلاءم الطابع الديني والأخلاقي الذي يريده اليهود، وقد شكلت هذه القصة أهمية كبرى على حد قولنا، لأنها ارتبطت بالحضارات الشرقية القديمة، وخاصة حضارة بابل التي وقعت فيها أحداث القصة الحقيقية، والتي اعتمد مؤلف السفر والقصة في الاقتباس منها. وقد توصلت إلى عدد من النتائج المهمة, وهي على النحو التالي:

١- تبين لي أنَّ أحداث القصة، بحسب النص التوراتي، قد وقعت في الإمبراطورية الفارسية خلال حكم الملك أحشويروش، والمعروف تاريخياً أنَّ هذه الفترة عرفت بالملك زركسيس الأول، الذي حكم من (٤٨٦ إلى ٤٦٥ ق.م).

٢- مما توصلت إليه أيضاً أنَّ شخصية لستير هي الشخصية الرئيسة في قصة السفر، والقصة في رأينا قصة خيالية، كتبها يهودي، عاش في عصر أحشويروش أو بعده، لأغراض معينة، وهدف كاتب القصة هو موضع أساسي تاريخي لعيد البوريم عند اليهود.

٣- إنَّ التفاصيل الواردة في قصة (استير) لا توحي على الإطلاق بأية مؤامرات أو قوانين لم تلغى، أو صعود شخصيات يهودية للحكم والملك، ونستنتج من هذا أنَّ أحداث القصة لا تعكس على الحقيقة أي وقائع تاريخية، وإنما نسج من الخيال الأدبي الرمزي، ولهذا فهي تنتمي إلى النمط الأدبي السردي التهذيبي في الشتات، وليس إلى السجل التاريخي، المستخدم في تدعيم الهوية والقومية اليهودية.

٤- أظهرت الدراسة أيضاً أن الوثائق الفارسية، وخاصة المنقوشة بالخطين الفارسي القديم والإيلامي، لم تشر على الإطلاق إلى زوجات الملك (زركسيس) مثل أميسْتريس، بل لم تشر إلى اسم استير.

٥- بينت الدراسة إجماع كثير من الباحثين على أنَّ القصة هي من قصص الأساطير، فلا قرأتها قراءة تاريخية أو دينية، وإنما تقرأ كنص وطني يخلق حالة نفسية لمواجهة الخطر والعداء ضد الآخر.

٦- من نتائج الدراسة أنَّ شخصية (مردخاي) الواردة في القصة بحسب الدراسات النقدية الحديثة، قد أكدت على عدم وجود هذه الشخصية في الواقع التاريخي، ومن ثم شككوا في تاريخية الشخصية، وذلك لأنه لم يكن هناك أية إشارة خارج الكتاب المقدس تؤكد على وجود شخصية حقيقية باسم (مردخاي).

٧- إنَّ شخصية (أحشويروش) الواردة في سفر استير ليس شخصية حقيقية، وقد تكون الشخصية المذكورة في سفر لستير مشابهة لشخصية (زركسيس) التاريخية، وهذا نوع من التخليق الأدبي الرمزي لملك من ملوك الشرق القديم.

٨- توصلت أيضًا إلى أنَّ شخصية (هامان) التي بلغت أهمية كبيرة في سفر استير، هي شخصية غير موثّقة في الوثائق الرسمية في بلاد فارس أو الكتابات الأخمينية، فلا يوجد بها وزيراً بهذا الاسم في بلاط الملك خشايارشا. وإضافة إلى هذا أيضًا أنَّ اسمه يُعد تحريفًا ساخراً من اسم الإله العيلامي (هلمان) أو (هومان)، والمعروف لَنه يمثل لِإله الغضب والحرب في بعض النقوش، ما يُضفي على الشخصية طابعًا أسطوريًا.

٩- من نتائج الدراسة أيضًا توصلت إلى أنَّ هناك تأثير حاصل بين قصة استير التي دعت إلى عيد البوريم كرمز للاحتفال والانتصار على الاعداء، فهو مقتبس من جذور بابلية شرقية قديمة خاصة العيد المعروف في الفكر الديني البابلي بعيد أكيتو، ويحتفل به في بابل وآشور وأوروك بدعوة من كل الآلهة للحضور ومشاهدة الطقوس التفصيلية لهذا العيد.

أما أهم التوصيات, فهي كما يلي:

١- يمكن التوسّع في دراسة العلاقة بين هذه القصة والقصص الأسطورية الأخرى، وخاصة التي تتبع الحضارات الشرقية القديمة، من أجل الكشف عن مدى الاتفاق والاختلاف فيما بينها.

٢- دعوة الباحثين إلى الكشف عن تأثير قصة (استير ومردخاي) على الحركة الصهيونية الحديثة، خاصة وأنَّ النزعة العدائية والقتل والخداع متأصلة في هذه القصة، كما وضحت ذلك في بحثي، وهذا أيضًا ما تنتهجه الصهيونية، فيمكن للباحثين الكشف عن تلك العلاقة.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية:

١- بارندر، جفري. ترجمة: د. إمام, عبد الفتاح إمام. (١٩٩٣م). المعتقدات الدينية لدى الشعوب, الكويت: سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

٢- باقر, طه وآخرون. (١٩٨٠م). تاريخ إيران القديم، بغداد- العراق: مطبعة الجامعة.

٣- باقر, طه. (بلا- ت). مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد- العراق: دار الشؤون الثقافية.

٤- تأليف: مجمع الكنائس الشرقية. (بلا- ت). هيئة التحرير: عبد الملك, وآخرون.

٥- ديلي, الأب. (١٩٦١م). تاريخ شعب العهد القديم، بيروت- لبنان: المطبعة الكاثوليكية.

٦- سبينوزا، باروخ. ترجمة وتقديم: حنفي, حسن. مراجعة: زكريا, فؤاد. (بلا- ت). رسالة في اللاهوت والسياسة، دار وهدان، طبعة مصورة عن طبعة الهيئة المصرية للكتاب.

٧- سعيد، حبيب. (بلا- ت). المدخل إلى الكتاب المقدس، القاهرة- مصر: الكنيسة الأسقفية.

٨- شلبي، أحمد. (١٩٧٨م). اليهودية, ط١, القاهرة: دار نهضة مصر.

٩- ظاظا, حسن. (١٩٨٥م). الفكر الديني الاسرائيلي، مكتبة سعيد رأفت.
١٠- عدد من المؤلفين. (٢٠٠٧م). موسوعة الأديان الميسرة، ط٤، بيروت- لبنان: دار النفائس.
١١- علي، فؤاد حسنين. (بلا- ت). التوراة الهيروغليفية، القاهرة- مصر: دار الكاتب العربي.
١٢- فاضل, عبد الواحد. (١٩٨٣م). صراع السومريين والأكديين مع الأقوام الشرقية والشمالية الشرقية المجاورة لبلاد وادي الرافدين (٢٥٠٠-٢٠٠٠ ق.م)، بحث ضمن كتاب الصراع العراقي الفارسي، بغداد- العراق: دار الحرية للطباعة والنشر.
١٣- ملطي، تادرس يعقوب، فايز، بيشوي بشرى. (٢٠٢٠م). صلاة مردخاي، لقاءات مُبسَّطة ومتهللة مع الأسفار الواردة في الترجمة السبعينية، سبورتنج: الناشر: كنيسة الشهيد مار جرجس.
١٤- المؤلف مجهول, ترجمة وتعليق: ديب, سهيل. (١٩٨٠م). التوراة تاريخها وغايتها، ط٣, بيروت- لبنان: دار النفائس.
١٥- ناصف، عصام. (١٩٦٥م). محنة التوراة على أيدي اليهود، ط١, مصر: مطبعة الرسالة.
١٦- نويهض، عجاج. (١٩٨٤م). بروتوكولات حكماء صهيون، عمان: دار الجيل.

المجلات:

١- صبري، حسين. (١٩٧٠م). إله موسى في توراة اليهود. مجلة المجلة، العدد١٦٣, الصفحات ٤-١٩.
٢- ضيف، محمد. (٢٠١٩م). استير اليهودية ملكة على بلاد فارس- قراءة تحليلية في سفر استير، مجلة الدراسات الشرقية، (العدد١), المجلد ٦٣, الصفحات ١١-٢٩.

References

Book:

1. Alter, R.A. (2010), The Wisdom Books: Job, Proverbs, and Ecclesiastes, Translation with Commentary. W. W. Norton & Company.
2. Assen: Van Gorcum, (1997), The Jews and the Persian Empire: In The Jewish People in the First Century Lemaire, A.
3. Berlin,A.(2001), The JPS Bible Commentary: Esther. Philadelphia: Jewish Publication Society.
4. Briant, P. Winona Lake, (P. Daniels, Trans.) (2002), From Cyrus to Alexander: A History of the Persian Empire, IN: Eisenbrauns.
5. Dalley, S. (2008), Myths from Mesopotamia, Oxford University Press.
6. De Graef, K., et al,(2018), In Susa's Fields: On the topography of fields in Old Babylonian administrative documents from Susa, Topography and Toponymy in the Ancient Near East: Perspectives and Prospects.
7. Fox, M. Eerdmans, (1991), Character and Ideology in the Book of Esther.
8. Grabbe, L.L. (2004), A History of the Jews and Judaism in the Second Temple Period, Yehud: A History of the Persian Province of Judah. T&T Clark.
9. Greenspahn, F. E.(2010). Esther and Her Elusive God: How a Secular Story Functions as Scripture, Journal of Biblical Literature.
10. Moore, C. A. (1971), Esther: Introduction, Translation, and Notes (The Anchor Bible, Vol. 7B). Garden City, NY: Doubleday.
11. Vermes, G. (2004), The Complete Dead Sea Scrolls in English. Penguin Books.
12. Vermes, G. et al ,(1973). The History of the Jewish People in the Age of Jesus Christ Schürer, E, (175 B.C.–A.D. 135), Edinburgh: T&T Clark.
13. Yamauchi, E. M. (1980), Persia and the Bible: Grand Rapids: Baker Book House.